المبحث الثاني

الحروب البريطانية الأفغانية في القرن التاسع عشر

في بداية القرن التاسع عشر أظهرت روسيا إهتماماً متزايداً بإمارات وسط آسيا بغية تحقيق مكاسب، منها ما هو اقتصادي بوجود خامات أولية معدنية تحتاجها الصناعة الروسية، ووجود أسواق فيما بعد لتصريف منتجاتها.أما على الجانب الآخر فأن القياصرة الروس منذ بطرس الأكبر(١٦٨٢–١٧٢٥) كانوا يخططون للوصول إلى المياه الدافئة عن طريق أفغانستان ثم المحيط الهندي [١].

الهند وهي أكبر المستعمرات البريطانية ظلت محط إهتمام الساسة البريطانيين حتى منتصف القرن العشرين، فخططت أن تكون الهند بمثابة سوق واسع ومصدر للمواد الأولية بدلا أن تكون منتجه للبضائع الإستهلاكية فهي درة التاج البريطاني، ولهذا بات لزاما على بريطانيا أن تضع مستعمرتها في حصن أمين من النفوذ الروسي [٢].

بدأت بريطانيا تنظر بعين الشك والريبة عندما تجأوز الروس بقوتهم العسكرية ايران التي بات جيشها عاجزا عن مقأومة الغزو الروسي في نهاية القرن الثامن عشر

---

(١) محمد عدنان مراد، صراع القوي في المحيط الهندي والخليج العربي جذوره التاريخية وأبعاده، مراجعة شهيرة مراد، دمشق، ١٩٨٤، ص٣٤٠.

(٢) في الهند تشير التقارير الدولية إلى أن مقدار الأحتياطي من خامات الحديد يصل إلى (٢٢.٠٠٠) مليون طن، (٢.٥٠٠) مليون من فحم الكوك، المعادن اللافلزية(المغنيز) تعتبر الهند ثالث دولة في العالم من حيث كمية الإنتاج ويقدر ب (٩٨) مليون طن، النيكل (٧٨) مليون طن، والفوسفات حوالي ٧٨ مليون طن، اضافة إلى كميات من النفط يكفي حاجتها المحلية. وفيق حسني الخشاب وآخرون، الجنوب الأوسط للقارة الاسيوية دراسة في التركيب السياسي والاجتماعي والاقتصادي ضمن الإطار الإقليمي، بغداد، ١٩٨٠ص٤١.

وبداية القرن التاسع عشر وتنازلت ايران عن مقاطعتي (روان) (ونخشيان) في شمالها وشمالها الشرقي وإجبارها على توقيع معاهدتي (جوليستان)(١٨١٣)م وتركمنجاي (١٨٢٨)م [١].

أما بالنسبة للإمارة الأفغانية التي أقامها أول أمير [٢] قد اربكتها فتن الوراثة وطموحات الاخوة للإستيلاء على الإمارة، وهذا ما جعل حالة الاستقرار شبه مستحيلة، كما ان آثار معركة (نوجرواف)[٣] والتي أدت إلى هزيمة الأفغان قد أثارت هي الأخرى حفيظة بريطانيا التي وضعت استراتيجية بأن تجعل إمارة الأفغان كحاجز امام التوسع الروسي، فدب الخلاف بين مسؤولي حكومة الهند البريطانية في سياستهم تجاه صيانة المصالح في الهند، فكان فريق منهم يجد أن حماية المصالح إنما تكمن في وجود قوة عسكرية على الأرض الأفغانية وتقويتها، في حين يجد الطرف الاخر أن القوة البريطانية يمكن أن تبقى داخل حدود الهند ومراقبة الأوضاع عبر الحدود، [٤] وكانت الأرجحية لأصحاب الرأي الأول فنشبت أولى الحروب ضد الأفغان الحرب البريطانية –الافغانية الأولى (١٨٣٨–١٨٤٢م).

تمكن الحاكم الفارسي (محمد شاه) من قيادة قوة عسكرية في شهر تشرين الثاني (١٨٣٧)م للسيطرة على مدينة (هيرات) الأفغانية والتي اعتبرها البريطانيون المفتاح الرئيسي لأهم مستعمراتها في ذلك الوقت الهند.كان طموح الحاكم الفارسي أن

---

(١) محمد عدنان مراد، المصدر السابق،ص٢٢٧.

(٢) أرمينيوس فامبري، المصدرالسابق،ص٤٣٩؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق،ص٢٩.

(٣) تمكن (ارنجيت سنغ) أسد البنجاب من هزيمة الأفغان وتوسيع حدود إمارته حتى مدينة بيشأور (حاليا مدينة باكستانية).

(☐) Stephen Tanner , Afghanistan , a military history from Alexander the great to fall of Taliban , New York , 2002,p.135; the new Encyclopedia Britannica , printed in U.S.A , 1979 , V.I,P. 175.

يكسب رضا روسيا ومعأونتها خلال سير عملياتها العسكرية ضد أي تدخل خارجي[١].

أما روسيا حليفة الدولة الفارسية في ذلك الوقت، فكانت ترى في ذلك جهداً عسكرياً ذا قيمة لبعثرة جهود بريطانيا وإضعافها في مواجهة تطور قدراتها في إمارات وسط آسيا الأسلامية [٢].

شعرت بريطانيا بالامتعاض الشديد من جراء الهجوم الفارسي فأقدمت على إرسال مجموعة استطلاع بقيادة (الدرد بوتنكر) (Eldred pottinger) إلى شرق الهند تحت غطاء زيارة تفقدية لوحدة عسكرية ومعرفة تطور الموقف على الأرض [٣]، في الجانب السياسي وجدت بريطانيا نفسها أنها بحاجة إلى تقوية روابطها مع أمير (هيرات) (وكابل) (وقندهار) وإقناع الفرس أن عملهم إنما يخدم التوجه الروسي بالدرجة الأساس، وفي الوقت نفسه أرسلت بريطانيا وفد برئاسة (الكسندر بيرنز) (Alexander Burnes) الحاكم العام للهند بدأها بمدينة (كابل) للتفأوض مع أميرها (دوست محمد) [٤] حيث كان الأمير يتوقع من زائره الذي أستقبله بترحاب أن يطمأنه بشأن استعادة مدينة (بيشأور) إلا أنه لم يسمع من بيرنز تأكيداً على طلباته[٥].

---

(١) تألفت قوتها العسكرية من ٣٠.٠٠٠ ألف مقاتل–op, cit, p. 175.

(٢) Stephen Tanner, op. Cit, p. 135; the new Encoy–clopaedia,op.cit,p.175.

(٣) Stephen tanner ,Op.cit., p.135.

كان عمر الضابط المكلف بالواجب (٢٦) عاما.

(٤) دوست محمد (١٨٣٦–١٨٦٣)م تمكن من مدّ حدود بلاده إلى الشمال على حساب إمارة (بخارى)، وكان الروس يعتبرونه إمتدادا للنفوذ البريطاني خاصة بعد عام (١٨٥٥) م بسبب الأزمة الأيرانية الأفغانية حول (هيرات)، بقي (دوست محمد) أسيراً في الهند إبان الحرب الأفغانية الأولى، وظل أسيراً من تشرين أول (١٨٤٠– حتى كانون الثاني ١٨٤٣م).محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٤٧ ؛ stephen tanner ,op.cit., p. 133

(٥) The new Encoy cloopaedia , op, cit , p. 175 ؛

وفي الوقت الذي كانت المفأوضات جارية بين الطرفين وصل المبعوث الروسي الملازم الأول (فيكتافيج) (Vit kievitch) إلى إمارة (كابل) واستقبل من قبل (دوست محمد) [1]. فثارت حفيظة الوفد البريطاني الذي قطع المفأوضات وعاد إلى الهند. فأصدر اللورد (أوكلاند) أوامره لغزو أفغانستان تحت غطاء إعادة شاه شجاع (Shah shaja) إلى العرش [2].

كانت حدود الإمارة التي يسيطر عليها (دوست محمد) من مرتفعات (كوهستان) من الشمال وولاية (غزنه) في الجنوب، في حين أن مدن قندهار، فرح، هيرات، والأراضي شمال جبال (هندكوش) لم تكن لديه سيطرة عليها.

القوات البريطانية الغازية

كانت القوات المكلفة بعملية غزو أفغانستان معظمها مجموعة من المقاطعة الإدارية الثالثة في الهند (مدراس) [3]. فقدمت ولاية (بومباي) خمسة آلاف وستمائة مقاتل، مؤلفة من كتائب المشاة الرابعة، والسابعة عشر وسرية المعلومات التاسعة عشر (قيادتها من قبل ضباط بريطانين)، أما ولاية البنغال فقد قدمت تسعة آلاف وستمائة مقاتل مؤلفة من كتائب المشاة الثالثة عشر (بريطانية) والثالثة والأربعون، وكتيبة

يوسف الجهماني، تورا بورا أول حروب القرن، المؤامرة الأمريكية الصهيونية الكبرى، دمشق، ٢٠٠٢، ص٣٨.

(□) **Stephen tanner , op.cit, p. 136**

يشير (ستيفن) إلى أن تقرير المبعوث الروسي الذي وصل إلى وزارة الخارجية الروسية لم يحمل معه أي نتائج مشجعه، وأن المبعوث نفسه انتحر بمسدسه.

(٢) أن (**Shah shja**) تعني (الملك الشجاع) وقد أبقيناها كما كتبت في دائرة المعارف البريطانية **The new Encoy cloopaedia , op, cit , p. 175.**

(٣) أهم ولاياتها حسب التقسيم البريطاني، ولاية البنغال، ولاية بومبي

الخيالة الثانية. كما هيأت القيادة البريطانية قوة من المرتزقة قوامها ستة آلاف مقاتل تحت إمرة (شاة شجاع) [١].

في الجانب الإداري، هيأت القيادة البريطانية (ثمانية وثلاثون) ألف من الهنود (وثلاثون) ألف بعير لحمل مواد الإدامة للقوات (الماء، الأرزاق، العتاد) ووضعت كل هذه القوات تحت قيادة الجنرال البريطاني (جون كين) (John Keane) [٢].

كان الجنرال البريطاني وبموجب المعلومات التي استقاها من استطلاعات الضباط البريطانيين المتكررة لمناطق الحدود، أن فضل المحاور لغزو جارتها الغربية عن طريق جنوب مقاطعة السند[٣]. وحُشِدت القوات المكلفة بالغزو (البريطانية والهندية) في ولاية (كويتا)[٤]، واستمر قادة الكتائب في الاستطلاع وتثبيت المعلومات بإتجاه ولاية (قندهار) وممر (كوجك) [٥].

تقدمت القوات الغازية بإتجاه إمارة (قندهار) في ٢٥ نيسان من عام (١٨٣٩)م، وخلال تقدمها واجهت عدة عمليات خاصة نتج عنها إصابات بين جنودها، ومع ذلك فقد تمكنت من دخول (قندهار) وأُعيد تتويج (شاه شجاع) في الجامع القريب من ضريح أحمد شاه [٦].

لم يكن استقبال الأفغان في (قندهار) (لشاه شجاع) وتنصيبه من قبل الأجنبي ذا أثر طيب في نفوس الناس؛ حيث عرفوا دوره ومرتزقته، فقرر القائد البريطاني في شهر

---

(١) The new Encoyclopaedia , op, cit,p. 175.

(٢) Stephen tanner , op. cit , p. 136; MARTIN EWANS , OP. cit, P.63.

(٣) Stephen tanner , op. cit , p. 137.

(٤) (كويتا) ولاية باكستانية في الوقت الحاضر.

(٥) Ibid , p. 133; MARTIN EWANS, Op.cit. P. 64

(٦) The new Encyclopaedia , op, cit , p. 175.

حزيران ترك فرقة مشاه في حامية المدينة معززة بأربعة مدافع من عيار ثمانية عشر (انج) قبل التوجه شمالاً إلى كابل التي تبعد بحدود (٥٣٥) كم [١].

كانت غاية القائد البريطاني إخضاع ولاية (غزنه) بأسبقية لما فيها من قلاع محصنة [٢] على سفوح الجبال، فخصص لها مدافع من عيار ستة (انج)، وتسعة (انج) بغية إحداث أكبر ما يمكن من الخراب فيها وبث الرعب في سكانها وإجبارها على الاستسلام دون الاعتماد كلياً على المشاة (حاملي البنادق) [٣]. وفي الوقت الذي كان الجنرال البريطاني (كين) يعيد النظر في خطته لاقتحام المدينة يوم ٢١ تموز قامت عدة مجموعات من الفرسان الأفغان من الإغارة على معسكر (شاه شجاع) وتكبيدهم خسائر مؤثرة، إلا أن الخيالة والمدفعية البريطانية تمكنت من مشاغلتهم وإجبارهم على التبعثر، ومن ثم القبض على خمسين فارساً، جرى تسليمهم فيما بعد إلى (شاه شجاع) [٤].

شنت القوات البريطانية هجوماً على المدينة قبيل الفجر من يوم الثالث والعشرين من شهر تموز ١٨٣٩م وكانت الخطة العامة مؤلفة من صفحتين الأولى تفجير أحد أبواب المدينة المسمى بوابة كابل بـ (مائة) بأوند من المتفجرات، وفي نفس الوقت تقوم المدفعية بقصف مواضع المدافعين. أما الصفحة الأخرى فتقوم بها سرايا من كتائب المشاة

---

(١) Stephen tanner , op, cit, p. 140.

(٢) كانت ولاية (غزنه) محاطة بأبراج يصل ارتفاعها إلى (١٥٠) قدم وجدران سميكة تحيط بها تصل إلى (٦٠)قدم. وفي داخلها بحدود ثلاثة آلاف مقاتل تحت قيادة أحد أبناء (دوست محمد).

(٣) كانت البنادق البريطانية تصيب بصورة مؤثرة على مسافة (١٥٠) ياردة في حين كان لدى الأفغان بنادق يصل مداها إلى (٥٠٠) ياردة غير أن عيبها يكمن في بطأ عملية الإملاء والإطلاق.

(٤) Stephen tanner , op. cit, p. 141

اعتبر الخمسون أفغانيا أسرى، وفي أثناء قيام (شاه شجاع) باعتباره (الملك الجديد) بتفتيشهم، قام أحد الأسرى بطعن أحد مرافقي الملك، فقرر الملك تنفيذ حكم الإعدام بهم.

الثانيـــة والثالثـــة عشـــر والســـابعة عشـــر تحـــت قيـــادة العقيـــد (ولـــيم دنـــي) (William Dennie) من التسلل إلى داخل الأسوار ومقاتلة القوة الأفغانية [١].

كانـت حصـيلة معركـة ولايـة (غزنـه) كمـا ذكرهـا الكاتـب العسـكري الأمريكي (ستيفن تتر) أن القوات البريطانية فقدت سبعة عشر قتيلاً ومائة وخمسة وستون جريحاً ،في حين فقد الأفغان أكثر من خمسمائة قتيل [٢].

في كابل العاصمة علم الأمير (دوست محمد) ما جرى في غزنة والطريقة السريعة الـتي اتبعتهـا القـوات البريطانيـة في دخـول المدينـة – بـالرغم مـن نصـيحة شـاه شـجاع بتخطيها – فقـرر الأمـير إرسـال خمسـة آلاف مـن الخيالـة الأفغـان لإعاقـة تقـدم القـوات البريطانيـة، غـير أن أعمـال المقأومـة لم يظهـر لهـا ذلـك التـأثير كمـا أراد لهـا الأمـير، فأزدادت مخأوفه من عدم قدرته على الصمود بوجه القوات الزاحفه على كابل [٣].

تمكنـت القـوات البريطانيـة والهنديـة مـن الوصـول إلى العاصـمة كابـل في اليـوم السابع مـن شـهر آب بعـد مشـاغلتها بالمدفعيـة لسـاعات متتاليـة، ولم يكـد يمضـي يـوم واحد مـن القتـال الفعلـي حتـى دخـل (شـاه شـجاع) وقوتـه إلى المدينـة دون صـعوبة،إلا أن أحداً لم يشاهد الأمير [٤].

في روسـيا لم يسـتقبل القياصـرة الـروس أخبـار النجاحـات الـتي حققتهـا القـوات البريطانية والهندية في العاصمة كابل بأرتياح كما استقبلتها الهند ولندن، فقد كـان الـروس يتربصـون منـذ زمـن بعيـد لمـد نفـوذهم جنوبـاً ، فجـاءت الفرصـة المواتيـة للدولـة

---

(١) Stephen tanner , op. cit, p.141.

(٢) I bid , p. 142.

(٣)The new Encoyclopaedia , op, cit,p. 175.

(٤) Stephen tanner , op. cit, p. 142;MARTIN EWANS, op.cit.p.65.

كان في المدينة بحدود ٦٥.٠٠٠ ألف من السكان.

الروسية لأن ترسل مبعوثين إلى طريق الحرير القديم الذي يربط إمارات آسيا الوسطى بغية معرفة أحوال القبائل وقوتها [١].

في العاصمة كابل، ولغرض تقييم الموقف العسكري من قبل القائد البريطاني (كين) وهيئة ركنه، فقد أظهرت طبيعة المعارك الثلاث السابقة إلى عدم الحاجة لذلك الحجم الكبير من القوات، مما دعاه إلى إعادة قوة بحجم لواء مشاة إلى الهند في شهر كانون أول ١٨٣٩ [٢].

كانت أحداث النصف الأول من عام (١٨٤٠) م كما خطط لها قادة الجيش البريطاني، إلا أن أحداث النصف الثاني من السنة المذكورة قد أيقظتهم على تطور المواقف العسكرية لدى الأفغان وأن ضعف الأداء السابق ليس مرده قله الشجاعة، فخصائص الشعب الأفغاني تتمثل بعدم قبولهم وتحملهم للأجنبي، وأنهم لا يقبلون ملكاً مفروضاً عليهم من قبل سلطة أجنبية، والأكثر من ذلك أنهم لا يثقون بوعود الأجنبي [٣].

بدأت السنة الثانية من الحرب على ضوء التقييم الذي وظفه الجنرال (كين) [٤] لقيادته، واصفاً لهم ما جرى في المعارك السابقة بأنها ليست أكثر من نزهة جبلية، مما دعى زوجات عدد كبير من الضباط إلى الألتحاق بأزواجهن في العاصمة كابل، وما تبع ذلك من إقامة الحفلات الراقصة وشرب الخمور التي يعتبرها الأفغاني منافية لتقاليد دين الإسلام [٥].

(□) op, cit, p. 143.

(□) I bid , p. 143.

(٣) يوسف الجماني، المصدر السابق. ص٣٨.

(٤) حل الجنرال (وللكها بي كوتن) (Willkhbi Kotn) بدلاً من الجنرال (جون كين) كقائد للقوات البريطانية والهندية في بداية عام (١٨٤٠)م.

(□)Stephen tanner ,op. cit, p. 145 I bid , p. 145

إلى الشمال من العاصمة كابل، وفي شهر مايس عام (١٨٤٠)م وبالتحديد في إمارة (بخارى) قام أميرها بأعتقال العقيد البريطاني (جارلس ستودارت) (Sharles stoddart) في زنزانة انفرادية لا يسمح بزيارته تحت ذريعة عدم احترامه للأمير [١]. أما الخبر المدهش الذي وصل إلى أذهان القيادة البريطانية، فكان ظهور الأمير الأفغاني (دوست محمد) شمال جبال هندكوش ومعه آلاف الفرسان من قبائل الأوزبك بعد نجاح هروبه من سجن أمير بخارى "نصر الله" [٢]

أدرك الجانب البريطاني خطورة الموقف المتزايد عندما قامت مجموعات من الخيالة الأفغان في السابع عشر من أيلول بالاستيلاء على إحدى القرى الموالية للبريطانيين وعزلها، وعلى الفور تحركت قوة قوامها ثمانمائة مقاتل من ولاية (باميان) تحت قيادة العقيد(وليم دني) لإفشال جهود الأمير.اشتبك الطرفين في معركة غير متكافئة، كان للخيالة والمدفعية البريطانية الدور الكبير في فشل الهجوم الأفغاني، وهروب الأمير مع قوته الباقية التي لا تتجأوز المأتين مقاتل كما روى العقيد البريطاني.[٣]

---

(١) الأمير نصر الله بهادر خان (١٨٢٦ – ١٨٦٠)م جاء بعد والده الأمير سعيد وخلفه على إمارة (بخارى)، تميز هذا الأمير بالمكر والكبرياء والغرور والتعصب والظلم على مدى (٣٤) عاما. دبر قتل أخيه دون أدنى وازع من ضمير.

(٢) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٣٨.

(□) **Stephen tanner ,op. cit, p. 148.**

في السنوات الأولى من حكمه تظاهر بأن أعظم أهدافه هي إعلاء كلمة (الإسلام) علوا كبيرا والتفاني في إسعاد شعبه، وفي هذه الفترة زار(الكسندر بيرنز) بخارى، وقد دون في كتابه قصة السفر والإقامة في مدينة كابل الصادر في لندن عام ١٨٤١ " أن مظالم نصر الله كانت بالغة الجرأة، كثيرة العدد فكنت أهنأ نفسي بخروجي من بلاده سالماً" آرمنيوس فامبري، المصدر السابق،ص ٤٢٧.

كان تعداد جيشه ثلاثون ألف من الفرسان وألفاً من المليشيا،هاجم فيهم إمارة خوقند وأميرها المسلم (محمد علي) الذي اضطر إلى الفرار مبرراً فعلته على الملأ أن(محمد علي)كان على علاقة

شن الأمير (دوست محمد) ومجموعته من الفرسان هجوما ناجحا في الثاني من شهر تشرين الثالث في مكان يعرف ب وادي (باروانديره) (Parwandarah) وتمكنت القوة من قتل ثلاثة ضباط بريطانيين وجرح أثنين وعدد من الخيالة [1]. غير أن الغريب في هذا الموضوع وكما ذكر (مكنكتن)أنه في اليوم الثاني شاهد عدد من الأفغان يتقدمهم مقاتل طلب الحديث، وتبين فيما بعد بأنه (دوست محمد) الذي طلب الاستسلام فأرسل إلى الهند هو وعدد من أفراد عائلته [2].

الهجوم المقابل الأفغاني

تحركت كتيبة المشاة الخامسة والثلاثين (من مجندي الهند) في التاسع من شهر تشرين الأول (١٨٤١)م تحت إمرة العقيد (توماس مونليث)(Tomas monleath) إلى الممرات كمقدمة لتأسيس معسكر مؤقت. [3]

بأمه.أما أمير كابل (دوست محمد) الذي هرب إلى بخارى بعد أول حرب مع الغزاة البريطانيين، فقد القي القبض عليه ووضع في السجن، هكذا هو حكم الشرع. ارمينوس فامبري، المصدر السابق، ص٤٤٦.

أرسلت بريطانيا بعثتها برئاسة القيصر(جارلس ستودارت) إلى الإمارات الإسلامية بغية تحديد المخاطر من جراء التوسع الروسي، فما أن وصل بخارى حتى وضعه الأمير في زنزانة، ثم أرسلت النقيب(آرثركوناللي)(Arthur Conolly) إلى بخارى في أيلول (١٨٤٠)م وفعل نصر الله ما فعله مع سلفه. وعندما علم بما حلَّ بالبريطانيين في نهاية عام (١٨٤٢)م فكر أن لا شي يخيفه فأمر بإعدام الأسيرين في (١٧) حزيران (١٨٤٢)م رغم تدخل روسيا، السلطان العثماني،شريف مكة،شاه فارس، وأمراء الإمارات الإسلامية فخلفه ابنه مظفر الدين بعد وفاته عام (١٨٦٠)م آرمينوس فامبري، المصدر السابق،ص٤٥٢

(☐) Stephen tannen,op–cit,p.149

ذكر (منكتن) أن (دوست محمد) كان على رأس القوة في المعركة، فصاح باسم الله وباسم النبي محمد (ص) أسحقوا الكفار من بلد العقيدة

(☐) I bid, p. lso .٣٨يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص.

(☐) Stephen tanner, op.cit,p.150.

بين القائد البريطاني (منكتكن) في خطته لتأمين الممرات أن يتم مسك أو السيطرة على الأراضي المرتفعة والمشرفة على الممر لضمان مرور مواد الادامه دون تدخل الخيالة الأفغان، فصدر الأمر لانفتاح كتيبة المشاة البريطانية الثالثة عشر وكتيبة المشاة الخامسة والثلاثين في معسكراتهم الوقتية على جانبي جرف عال. في الجانب الآخر كانت عيون رجال القبائل الأفغان على مقربة من فعاليات القوة الغازية تراقب ما يجري من الصباح وحتى حلول وقت الظلام، وما أن شعر الأفغان أن جميع أفراد الكتائب باستثناء الخفراء قد ذهبوا إلى مخادعهم حتى أغاروا على المعسكر مما أدى إلى قتل عدد من الضباط وعدد من الجنود [١] وكرد فعل لما حصل قرب الممرات، فقد صدر الأمر إلى حركة قطعات إضافية من قرية (زورمات)(Zormat) إلى (تيزين) (Tezeen)، وتبين أن القوة هي لواء المشاة الذي استنزفته الغارات الأفغانية أثناء عملية التنقل وعبوره ممر (كرد كابل). [٢] وفي هذه الفترة الحرجة، طلب الضابط السياسي البريطاني جى.اج.ماك (كريكور) (GH.Mac.Gregor) مقابلة شيخ القبيلة الذي بين مطلبه بإعادة الإعانة المالية كما كانت سابقا، [٣] غير أن هذا الأمر لم يغير شيئا؛ فقد شنت القبائل هجوماً كبيراً على لواء المشاة (سالي) من طريق آخر

(□) op, cit, p. 158.

هناك ثلاث ممرات مهمة بين العاصمة كابل ومدينة جلال آباد، ممر كرد كابل، ممر هفت كتول، وممر جادلوك.

(٢) بموجب التنظيم الذي عملت به القوات البريطانية في القرن التاسع عشر، كان لواء المشاة مؤلف من ثلاثة كتائب مشاة أو أكثر، ويصل تعداد لواء المشاة إلى (٢٥٠٠) مقاتل وكل كتيبة بحدود (٦٥٠–٧٠٠) مقاتل

روبيرشنيرب، المصدر السابق، ص٤١٩؛ I bid , p. 158

(٣) وافق النقيب البريطاني على دفع قسم من المبالغ وقدره عشرة آلاف روبية بما يعادل (١٠٠٠) جنيه استرليني.

وهو في بداية عبوره لمضيق (هفت كول) وتكبيده مائة وعشرون قتيلا منذ تراجعه من مدينة كابل [١].

نشر لواء سالي على التلال المحيطة بقرية (جاند آماك) في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني (١٨٤١)م ومع ذلك فقد تمكن الأفغان من مشاغلة القوة من التلال والكهوف المشرفة على مواضع الجنود [٢] وفي اليوم نفسه، كان زعماء أفغان يعقدون إجتماع سرياً في (كابل) كان من بينهم (عبد الله خان) و(آمان الله) [٣]، وكان قرارهم طرد البريطانيين من أرضهم [٤] في ظل هذا الظرف العصيب الذي عاشته وحدات الجيش البريطاني وهي تتراجع في ظل برد قارص ونقص بالأرزاق وإرهاق شديد إلى مدينة جلال آباد، ظهر الجاسوس الكشميري (موهان لا) [٥] ليقابل (الكسندر بيرنز) الحاكم العام للهند والموجودة في العاصمة (كابل)،وأخبره أن وجوده في خطر، وفي ذات الوقت جاء تحذير من الوزير (شاة شجاع) عبر تقرير مطول حول خطورة الموقف [٦] وتمكنت قوة أفغانية من تطويق مسكن الحاكم العام (الكسندر بيرنز) في فجر اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني، وعند شروق الشمس تضاعف العدد ليصل إلى أكثر من ثلثمائة فارس[٧].

---

(١) كان طول المتر ٥كم I bid , p 158

(□) Ibid, p. 159.

(٣) I pid , p. 159 (2)كان عدد أبناء (دوست محمد) ستة عشر، من بينهم مأورد أعلاه. محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص١٠٤

(□) Stephen tanner, Op.cit, p. 160.

(٥) كان الحاكم العام للهند في مدينة كابل واعتاد في القرارات الصعبة التي تريد القيادة العسكرية البريطانية اتخاذه أخذ مشورة (موهان لا) I bid , p. 160.

(□) I bid ,p.160

(□) I bid ,p. 160

كان المعسكر البريطاني في المدينة لا يبعد أكثر من (٣كم) من مقر الحاكم العام، وكان الرمي يسمع بوضوح،وهناك دخان أسود يتصاعد من جهة مسكن الحاكم، إلا أن ردود الفعل لم تكن جدية بإستثناء ما فعله (شاه شجاع) من إرسال كتيبة مشاه ومدفعيّن عبر شوارع مدينة كابل الضيقة تحت قيادة المرتزق الأسكتلندي (وليم كامبل) (William Cample) الذي لم يتمكن رغم قصر المسافة من صدِّ الغارات العديدة التي لاحقته، فخسرت الكتيبة ما مجموع مائتين بين قتيل وجريح، [١] وعاد (وليم كامبل) بصعوبة تحت غطاء مدفعي وفره العقيد (شيلتون) (Shelton) [٢]. إن سقوط مسكن الحاكم العام ومقتله هو وشقيقه على يد الأفغان قد يقرر مصير الحرب الأولى التي أشعلتها بريطانيا، أما في الجانب الآخر فقد أجبرت الأحداث الضباط البريطانيين وعوائلهم للسكن داخل المعسكر البريطاني الذي حاصره الفرسان الأفغان وقطعوا عنه المواصلات[٣].

أصبح المعسكر البريطاني في ظل الحصار يعاني من شحّ متزايد للمواد الغذائية، كما أن الحامية البريطانية نفسها اتخذت تدابير من أجل تعزيز مواضعها الدفاعية، منها توزيع قسم من المدافع في زوايا حامية المعسكر والاحتفاظ بالقسم الآخر لمواجهة التهديدات غير المتوقعة للخيالة الأفغانية [٤]. أبدى (منكتكن) تخوفه من الموقف الراهن، وطلب من الجنرال (نوت) إرسال لواء من (قندهار) إلى (كابل)،وبنفس الوقت أصدر أمراً وتعليمات بعودة الجنرال سالي ولواءه إلى العاصمة كابل الذي كان يطمح بالحركة إلى مدينة جلال أباد. ولضمان تدمير القوة البريطانية قبل عبور الممرات

(□) **MARTIN EWANS, OP,Cit ,P 68.**

(□) **I bid , p– 69.**

(□) **I.bid, P. 68.**

(□). **Stephen tanner, op. cit,p.162.**

المكلفة. [1] أتخذ آلاف من الخيالة الأفغان مواقعهم في أماكن مرتفعة لمواجهة المعسكر البريطاني صباح اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني، فاندفع مئات منهم مرة واحدة للسيطرة على تحصينات (ركا باشي) (RIKa bashee)، وعندما حان وقت العصر حأول البريطانيون من إعادة احتلالها ولكن دون جدوى [2].

استمرت المناقشات الحامية بين قادة الجيش البريطاني في أفغانستان وبالذات الموجود منهم في العاصمة كابل حول إخلاء المعسكر إلى منطقة (بيلي هزار) (Bala Hissar) المحصنة[3]، فكان رأي (مكنكتن) أن تخرج القوة في حين لم يعط (البنستون)(Elphinstone) أي قرار، وأبدى الجنرال (شيلتون) رأياً مغايراً يتمثل بإخراج كل القوات من أرض أفغانستان [4].

كان في المعسكر البريطاني حتى اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني أكثر من ستة عشر ألف من الجنود والمدنيين، وبسبب ضغط الخيالة الأفغان المستمر وحصارهم، فقد باتت حصة كل فرد يومياً نصف الأستحقاق من الطعام المخزون

---

(١).كانت زوجة الجنرال (سالي) وابنته لا يزالون موجودين في المعسكر البريطاني في العاصمة (كابل)، وكان هو عبر ممر (هفت كول)، وتعذر عليه العودة إلى العاصمة بسبب ضرأوة القتال مع الثائرين الأفغان**I bid, p. 165**

(□) **Stephen Tanner, op.cit,p.166.**

(٣) منطقة محصنة جنوب كابل، يمكن أن تقيهم من خسائر كبيرة. لا تبعد عن المعسكر أكثر من (٢)كم، وكانت خشية البريطانيين أثناء تنقلهم إبادتهم في أرض مكشوفة .

Stephen tanner , op. cit, p. 169

(٤) محمد العيد مطمر، المصدر السابق، ص١٦٥، ذكر أن القوة الغازية كانت ما بين (١٦–١٧) ألف مقاتل.

Stephen , tanner , op. cit , p. 169

ناهيك عن الطعام الطري الذي يصل المعسكر بين يوم وآخر من قرية (باي مروز) (Bay maros) المتعاونة معهم [١].

استعد البريطانيون لاستعادة القرية من الأفغان لأنها مصدر حياتهم وحياة آلاف من النساء والأطفال، إلا أن وصول(أكبر خان) [٢] على رأس قوة تعدادها ستة آلاف فارس إلى كابل مساء يوم (الثاني والعشرين) قد أجل القتال للتفأوض معهم [٣].

تحركت بوقت مبكر من صباح اليوم التالي سبعة عشر سرية من القوات البريطانية والهندية يتبعها عدد من المدافع والخيالة والقناصة تاركة المعسكر. شعر الأفغان بهذا الحجم الكبير من القوة المتحركة، مما أدى إلى تدفق آلاف من المقاتلين الأفغان، وتطور الموقف ليصل إلى عشرة آلاف مقاتل متخذين من كل مرتفع مكانا لإصابة البريطانيين وهم يتراجعون قسرياً [٤]. في المقابل أظهرت المدفعية البريطانية دورا في ضرب تحشدات الأفغان فسقط قسم منهم قتلى، وما أن شاهد الأفغان ما حصل لأبنائهم حتى نزلت أعداد كبيرة من سفوح الجبال مستخدمين بنادقهم ذات المدى البعيد لقتل من يقع في ذلك المدى، في الجانب الآخر؛ تميزت حركة الفرسان الأفغان على جناح الرتل البريطاني بالإختفاء والظهور فجأةً كون الأراضي متموجة، مما أدى إلى مباغته القوة البريطانية التي أصابها الإرتباك والتبعثر، وتمكن عند ذاك رجال القبائل الأفغانية من رؤية النجاح بأنفسهم. وكشاهد عيان، فقد بينت السيدة (سالي)

---

(١) اعتمد المعسكر البريطاني على بعض الأصدقاء الأفغان لكي يحصلوا على مواد غذائية تكفي لإطعام (١٦) ستة عشر ألف، فكانت (باي مروز) قرية كائنة في شمال غرب المعسكر ولا تبعد عن المعسكر أكثر من ١كم، وما أن عرف الأفغان بالموضوع حتى سيطروا عليها.

Stephen , tanner, op. cit, p. 170;MARTIN EWANS , OP.CIT , p.69.

(٢) أحد أبناء (دوست محمد) وقد حلَّ محلَّ والده بعد أن أسره البريطانيين وأرسلوه إلى الهند، وكان الجانب البريطاني مستعد للتفأوض معه.

(□) **Stephen tanner, op. cit. p. 170.**

(□) **Stephen tanner, op.cit, p. 170.**

ما حدث بقولها "إندفع العدو مرة واحدة، وجعلوا من رجالنا أمامهم بطريق تشبه الأغنام التي يطردها الذئب من الخلف [1].وفي هذه المرة فقد إنهارت قيادة الجيش ومعها معنويات الجنود التي باتت تهمهم الرغبة الشديدة في العودة إلى المعسكر، فمالت العملية كلها بيد الخيالة الأفغان الذين قفزوا لمطاردتهم من كل اتجاه. [2]

طلب (نواب زمان شاه) [3] الأفغاني إجراء مفأوضات مع (مكنكتن) ولبي طلبه على وجه السرعة، وبين للبريطانيين الحل السليم هو الاستسلام وتسليم أسلحتهم واعتبارهم أسرى، إلا أن الجانب الآخر رفض ذلك وقال " أنه يفضل الموت على ضياع شرفة. [4] ومع ذلك فقد أراد الجانب البريطاني أن يتم التفأوض مع (أكبر خان) لحراجة موقفهم.

كان (أكبر خان) من أكثر الأمراء الذي لعب دوراً في إنهاك القوات البريطانية، فظهر مرة أمام آلاف من المقاتلين يدعوهم إلى عدم مشاغلة القوة البريطانية عند أجراء عملية إخلاء (بيل هزار) غير أن سرعان ما طلب من (مكنكتن) أن يعتبر جميع الأطفال والنساء البريطانيين رهائن في بلده[5]. وبسبب تعاظم المشاكل التي نشأت من جراء نقص مواد الاعانة ونسبة الخسائر والجرحى ومشكلة العوائل البريطانية، فقد طلب الوكيل البريطاني (وليم هاي مكنكتن) إجراء مفأوضات مطولة مع (أكبر

---

(1) Stephen tanner, op.cit, p.171.

(2) Stephen tanner, op.cit, p. 171.

هو ابن عم (دوست محمد) وقد أعلن نفسه الملك البديل، وكان معه في المفأوضات ابن أخته (عثمان خان).

(٣) احسان حقي، أفغانستان، نشأتها وكفاحها، ط١، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٧٧.

(4) Stephen tanner, Op.cit, p. 173.

(5) I bid ,p. 173.

خان) لإيجاد مخرج لإنسحاب قواته إلى جلال أباد، غير أن نتيجة المفأوضات انتهت بمقتل الوكيل البريطاني على يد أكبر خان نفسه [١].

بدأ التقهقر البريطاني على أشد بدءٍ من اليوم السادس من شهر كانون الثاني (١٨٤٢) م، وتأزم الموقف من جراء هطول الثلوج الذي استمر على العاصمة من اليوم الثامن عشر من شهر كانون الأول، فكانت القوة البريطانية تسير على شكل ثلاث مجموعات، مقدمة القوة مؤلفة من الكتيبة الرابعة والأربعون والقناصة ومجموعتين من الخيالة وثلاثة مدافع، وفي الوسط ثلاثة كتائب ومدفعين، أما المؤخرة فكان فيها الكتيبة الرابعة والخمسون (من متطوعي الهند) وكتيبة الخيالة الخامسة وأربعة مدافع، مما جعل حجم القوة يصل إلى أربعة آلاف وخمسمائة جندي وضابط، ومعهم إثنا عشر ألف من (رجال المعسكرات والهنود) وعوائلهم التي أمتطت أكثر من ألفي من الجياد بألإضافة إلى الجمال والماشية. [٢]

أصبح اللورد (بوتنكر)(Aidred pottinger) الضابط السياسي الجديد الذي شاهد حال جيشه وهو يخسر الكثير من رجاله، فأوعز إلى كل الحاميات العسكرية في غزنة، قندهار، جلال أباد للإنسحاب من البلد [٣] مما أدى إلى دخول مجموعة أفغانية إلى المعسكر منذ الساعات الأولى من اليوم السابع من شهر كانون الثاني، وتولى القناصين الأفغان مؤخرة القوة المتراجعة فكبدوها أكثر من خمسين قتيلا وتدمير اثنان من مدافعهم ولم تكن القوة قد قطعت (٩كم) من مجموع (١٦٧كم). وإن قطع المسافة الطويلة الباقية في ظل موقف يائس وتحت رحمة تساقط ثلوج مستمر وبرد قارص وجوع متزايد وسط تلول أفغانستان كانت قاسية وحزينة على الغزاة[٤].

---

(١) The new Encyclopaedia Britannica , op. cit , p. 756 ; Stephen , tanner , op. cit , p. 175.

(٢) Stephen tanner, Op.cit,p. 176.

(٣) I bid ,p. 176.

(٤) Stephen tanner , op. cit, p. 176; MARTIN EWANS, OP cit, 70

فتحت القوات البريطانية ما تبقى لديها من مدافع في بداية مضيق (كرد كابل) من أجل تأمين نيران إزعاج للقوات الأفغانية المعقبة وبسبب الظلام وتساقط الثلوج بغزارة فقد لجأت القوة إلى قرية (كرد كابل) تاركة ورائها في المضيق ما يقارب من ثلاثة آلاف جثة منهم خمسمائة جندي، وألفان وخمسمائة من المدنيين، وكان من بينهم (١٢٠) ضابط بريطاني كما فقدت الأمهات البريطانيات عدد من أطفالهن بسبب حالة التدافع والإرتباك أثناء الغارات الأفغانية عند اليوم الرابع من الإنسحاب [١].

قرر الجنرال (الفنستون) بقاء كل القوة في المعسكر طيلة ذلك اليوم. وفي هذا الظرف المخيف ظهر (أكبر خان) واعداً إياهم بالطعام والحماية مقابل بقاء العائلات البريطانية في حمايته حتى إيصالهم إلى مدينة (بيشأور) [٢] في اليوم العاشر من كانون الثاني (١٨٤٢) م كانت كل القوة المتبقية تتألف من مائتين وخمسين مقاتل من الكتيبة الرابعة والأربعين، وخمسون من رجال المدفعية وحوالي مائة وخمسون من الفرسان، وثلاثة أو أربعة آلاف من رجال المعسكرات. [٣]

سارت جموع القوات البريطانية الهندية المتبقية بطريقة مخالفة للأوامر في صباح اليوم السابع عشر من شهر كانون الثاني، فأصبحت المؤخرة بالأمام واختلطت الماشية مع القوات المنسحبة والمدنيين، فضاع التنسيق، وفي مثل هذا الوصف فإن أعداد كبيرة من رجال المعسكرات تقدموا بسرعة من أجل العودة إلى الهند، كما أن جنود الهند المتطوعين (Sepoy) قد تحرروا من قيود الأوامر فالتحق المئات منهم مع عوائلهم تاركين واجباتهم وأسلحتهم. [٤] كان الجنرال (شيلتون) يضغط بشدة من أجل الإسراع بالحركة غير أن الإرباك الذي ساد كل المفاصل القيادية للقوات المتراجعة جعلهم لا

---

(١) يدعي الكاتب أن هؤلاء الأطفال احتجزوا من قبل رجال القبائل الأفغان.

(٢) تقع المدينة ضمن حدود الباكستان، وتبعد خمسون كيلو مترات من مدينة جلال أباد الأفغانية.

(□) Stephen tanner , op , cit ,183.

(□) I bid, p. 178

يستطيعون من قطع (٢٥ كم) في اليوم الأول لضمان المرور من مضيق (كرد كابل)[١] قبل تجمع الأفغان المسلحين.

لم يكن حال القوات البريطانية في ممر (جادلوك) بأحسن مما حدث لها في (كرد كابل)، فلقد ساد الإرتباك صفوف القوة وهم يعبرون ليلاً، وفي تلك الأثناء صاح النقيب (بيلو Below) [٢] على المتبقيين بقطع التماس مع الأفغان وسرعة الحركة، وكان من بينهم طبيب مساعد يدعى (وليم يرايدون) الذي امتطى أحد الخيول خلف متطوع هندي لينفذ بنفسه. وشاءت الأقدار فيما بعد أن يقتل الجندي بصدره ليظل الطبيب حياً على ظهر تلك الدابة. [٣]

وبعد اجتياز الممر المهلك سارت المجموعات المتراجعة على الطريق الرئيسي بين مدينة (جاند آماك) ومدينة (فتح أباد)، وكانت مجموعة الطبيب تضم حوالي أثني عشر من المقاتلين الذين أنهكهم الجوع والتعب وهم يتنقلون بين التلال. ولتدبر حالة الجوع التي أثرت على قواهم البدنية والعقلية، فقد قرر النقيب (بيلو) التقرب من قرية أفغانية لعله يجد ما يسد رمقه هو وجماعته، فشعرت به مجموعة من الخيالة والأفغان، فقتل النقيب ومن معه، ولم يبقى على قيد الحياة غير أربعة ممن تسربوا عبر الوديان والتلال لا يعرفون ماذا سيحل بهم[٤].

---

(١) الذي حدث أن القوات البريطانية قطعت ١٧كم في يومين بسبب ثقل الغارات الأفغانية. يبلغ طول ممر (كرد كابل) ٩.٥ كم

I bid , p. 179.

روبير شنيرب، المصدر السابق، ص٤١٩، ذكر أن إنكلترا أصيبت بفشل ذريع في (ثغرة) (كرد كابل)

(٢) كان يشغل الضابط الاداري لحماية كابل.

(☐) **Stephen tanner , op. cit , p. 186 ; MARTIN EWANS, op cit , p. 70.**

(☐) **Stephen Tanner, op.cit, p. 187**

أما الطبيب (برايدون) [1] فقد أختفى في كهف لفترة من الزمن ليطمأن أن الطريق إلى جلال أباد خالياً من القرويين الأفغان، وبعد رحلة قهرية وصل عند الفجر وحيداً إلى الحامية البريطانية في جلال آباد وكان في أستقباله نقيب من فرقة المشاة الخفيفة الثالثة عشر[2].

لقد كان الانسحاب القسري للقوات البريطانية في ظل الظروف العصيبة (قسوة المناخ وتمكن رجال القبائل الأفغانية من خصمهم) قد أدى إلى قتل ما بين خمسة عشر إلى عشرون ألف من القوة الغازية، وأُسِرَّ مئات من البريطانيين إضافة إلى كامل المعدات التي كانت بحوزتهم وفقدان خمسون ألف جمل من التي استخدمت لنقل التجهيزات والمؤن، أما المصروف الحالي لهذه الحمله فقد كلف ما يقارب ١٧–٢٠ مليون جنيه أنكليزي، غير أن الملفت للنظر في أحداث الحرب الأفغانية البريطانية الأولى أن عدداً من الأطفال البريطانيين قد أخذتهم عائلات أفغانية، وظهر في عام ١٩٢٠ عندما زارت بعثة بريطانية كابل، حيث ألتقت سيدتين بريطانيتين عجوزين، وكانتا في شوق لمعرفة أحوال عوائلهم في بريطانيا [3] والأكثر من هذا أن بريطانيا خسرت هيبتها وسمعتها أمام روسيا وأوروبا ومستعمراتها.

في صيف عام (١٨٤٢) م تمكنت القوات البريطانية من إعادة احتلال (كابل) تحت قيادة الجنرال (الينبروه) (Eilenborough) إلا أنه غادرها على وجه السرعة. وفي عام (١٨٤٣)م اعادت بريطانيا (دوست محمد) إلى أفغانستان ولكن هذه المرة بدون (شاه

---

(١) جرح الطبيب أربع مرات وشفي منها، وعند وصوله إلى جلال آباد بقيت دابته جاثمة على الأرض حتى مماتها.

٢ () محمد العيد مطمر، المصدر السايق، ص١٦٥، ذكر أن القوة الغازية كانت ما بين (١٦–١٧) ألف مقاتل، وقد أباد الأفغان هذه القوة عند آخرها ولم يسلم منها الإ طبيب واحد هو (برايدون) الذي هرب إلى جلال أباد ومعه نبأ الفاجعة، إحسان حقي، المصدر السابق، ص ٧٨.

(□) **Martine Ewans, op. cit,p. 70–72.**

شجاع) الذي قتل على يد أتباعه، وأستمر حكم الأمير دوست محمد حتى عام (١٨٦٣)م وفيها تمكنت من السيطرة على قندهار، مزار شريف، قادخان، هيرات[١].

كانت الحرب الأفغانية الأولى ذات تأثير سيئ في سير العلاقات السياسية مع بريطانيا، فهي جمدت أي اتصالات بين الطرفين لفترة عقد من الزمان قبل أن تعأود نشاطها التدريجي في ظل سياسة بريطانية جديدة بعدم التدخل في الشؤون الأفغانية، وظهور نوايا إيرانية بالتوسع شرقاً على حساب أفغانستان بدعم روسي[٢].

كانت معاملة البريطانيين (لدوست محمد) وهو محتجز في الهند خلال الحرب بمنتهى الاحترام والتقدير هو وعائلته، ولذلك فقد بقي أميراً لإفغانستان باعتراف بريطانيا التي لا تقبل التعامل إلا معه، فعقدت معاهدتين مع أفغانستان عامي (١٨٥٥)م و (١٨٧٥)م بغية تنسيق مواقفها تجاه الأخطار، ومنها احتلال هيرات من قبل إيران، والتي تمكن الأمير وبمجهود ذاتي من استعادتها دون مساعدة بريطانية.[٣] أما القيادة الروسية ومن خلال معرفتها بطبيعة العلاقة الأفغانية البريطانية فإنها كانت تعمل لتحقيق أمرين الأول، استثمار الفرص المتاحة للتوسع جنوبا وثانياً حماية حدودها الجديدة من بريطانيا[٤].

وعلى هذا الأساس فإن روسيا التي خبرت شعوب الإمارات الإسلامية كونها بدائية قبلية يمكن احتوائها، فكان مسلك العمل الروسي يتصف بالهجوم في حين ظل المسلك البريطاني يتصف بالدفاع ونقصد به (المذكرات السياسية والاحتجاجات واستدعاء السفير الروسي في لندن لتوضيح أي عمليات جديدة تقوم بها القوات الروسية). [٥]

(□) **Martine Ewans, op. cit, p. 72.**

(٢) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٤) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص ٣٤٤.

(٥) محمد عدنان مراد، المصدر السابق، ص ٣٤٤.

جهود الدولتين السياسية لاستمالة أفغانستان قبل الحرب الثانية

أثرت وفاة (دوست محمد) (١٨٦٣) م على وضع الإمارة الأفغانية وقوتها، حيث أن الخطر الخارجي الداهم عليها (البريطاني والروسي) قد أحكم خططه من الشمال والشرق، وكانت ايران في تلك الحقبة حليفة روسيا من جهة الغرب. أما داخل الإمارة فكان الصراع العائلي بين أبنائه الستة عشر على أشده؛ لتسلم السلطة رغم أن وصيته قبل الوفاة أن تكون الإمارة لابنه الثالث (شير علي خان) (١٨٦٤–١٨٧٩) فيما رفض أخوته تلك الوصية. وخلال خمس سنوات من الدسائس السياسية بين الأخوة تمكن (شير علي خان) في النهاية من الاستحواذ على السلطة بدون مساعدة بريطانيا التي ظلت تراقب الوضع [١].

كان الأمير الجديد يتطلع إلى تأسيس علاقات ودٍّ وصداقة مع بريطانيا دون أي تحالف ظاهر ضد أحد، فعقد لقاء مع حاكم الهند اللورد (مايو) [٢](Mayo) في آذار عام (١٨٦٩)م في مدينة (امبالا)، كانت أهم مطالبه تعزيز قدرته العسكرية للدفاع عن إمارته، في حين كان مطلب البريطانيين أن يتواجد ضباط بريطانيين في المدن الأفغانية المهمة لمراقبة تطور الأوضاع وتزويد الهند بآخر المعلومات، وأن تكون مساعدتهم المالية مشروطة بموافقة مستشاري الأمير دون أي وعود للوقوف معه عسكرياً ضد روسيا.

---

(١) حاول أخويه فضيل وعظيم خان عام (١٨٦٤) م السيطرة على السلطة وأفشلها شير علي خان وفي (١٨٦٥) م حاول عظيم خان ومعه ابن أخيه (عبد الرحمن) في إبعاده عن كابل (١٨٦٦)م ثم قندهار (١٨٦٧) م وتمكن شير علي خان من القضاء على المحاولة والاستيلاء على السلطة رسمياً عام (١٨٦٩)م.محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص١٠٥؛

Stephen tanner ,op. cit , p. 203; The new Encoylpacdia Britannica , op. cit, p. 175.

(٢) مايو (Mayo) (١٨٦٨–١٨٧٢)م عين بمنصب الحاكم العام للهند، وكان جلّ اهتمامه أن يكون علاقات ود وصداقة مع الأمير الأفغاني (شير علي خان)،كان يتميز بأخلاق حميدة في التعامل ويتصف بالحذر عند إتخاذ القرار. **Martine Ewans, op. cit,p. 80**

في روسيا عبر وزير الخارجية (جورتشاكوف) والجنرال (كوفمان) أن روسيا ليس لها نية للتوسع في الأراضي وأن أفغانستان بعيدة عن مخططاتها.[١] وجد الأمير (شير علي خان) نفسه في مشكلة مع البريطانيون حول التحكيم الذي جرى لأقليم (سيستان) المتنازع عليه بين ايران وافغانستان [٢]

كانت حكومة لندن وباستمرار تنظر بعين الشك والريبة إلى تطلعات الحكومة القيصرية ، وأصبح الدور التوسعي في المنطقة الإسلامية ليس حضارياً كما كانت تدعي الخارجية الروسية على الدوام. وفي هذا السياق فقد اقترحت بريطانيا عام ١٨٧٢م أن الأنفع للطرفين الروسي والبريطاني أن تكون هناك ولايات مستقلة حاجزة بين الطرفين، ووجدت بريطانيا في نهر (جيحون) حداً طبيعياً للفصل بين نفوذ الدولتين[٣].

وعلى ذلك فقد أيقنت بريطانيا بالحل، وسلمت بأن الأراضي التي تقع على الشاطئ الأيسر لنهر جيحون تكون خاضعة للنفوذ الروسي في حين تخضع الأراضي على الجانب الأيمن (أفغانستان) للنفوذ البريطاني، ووجدت روسيا في هذا الحل أكثر فائدة لما تمثله الأراضي من إمتداد سياسي وعسكري بعكس بريطانيا التي خبرت المغامرة والإنتكاسات غير المأمونة في أفغانستان [٤].

---

(١) محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص١٠٩، ٢٠٣؛ **Stephen tanner , op, cit ,p203**

(٢) يقع أقليم (سيستان) على (نهر الهلمند)، موضوع الخلاف، أن الولاية كانت في السابق تخضع لإيران، وفي زمن الأمير الافغاني (احمد شاه) أصبحت الولاية جزءاً من أفغانستان وأعتبرت امتدادا طبيعا لها. في عهد (دوست محمد) وبعد وفاته ونزاع أولاده على السلطة، استغلت ايران تلك الأحداث واستولت عليه، ونتيجة لوساطة بريطانيا، فقد قسمت الولاية إلى نصفين واحدة لإيران والنصف الآخر لإفغانستان، واعتبرت أفغانستان ذلك تحيزاً لإيران.محمد حسن العيله، المصدر السابق،ص١١٠.

(□) **Martin Ewans , op. cit , p. 81**

(٤) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص٦٢.

وفي هذا كتب الجنرال الانكليزي هنري رأولنسون (Henry Rowlinson) عام ١٨٧٤م أن تقدم الروس نحو آسيا الوسطى أمر محقق مثل تتابع الليل والنهار وأنهم سيظلون في البلاد حتى يبلغوا جبال هندوكوش إذا لم يجدوا حاجزاً يعيق تقدمهم أو قوة تقف في وجههم [١].

في لندن تولى حكومتها بنجامين دزرائيلي عام (١٨٧٤)م، وتولى منصب وزارة الهند، وجيء بالسفير البريطاني في لشيونة (ليتون) [٢] ليكون الحاكم العام للهند الذي أعلن صراحة "بأنه سوف يمنع الأمير من أن يكون آداة مطيعة في يد روسيا [٣]. وطلبت حكومة لندن من (ليتون) إرسال بعثة إلى (كابل) لإعادة الصداقة والمودة مع الأمير الأفغاني. على هذا الأساس تصرف (ليتون) بمفرده في إرسال بعثة برئاسة (بولاك) (Pollack) إلى كابل بهدف ربطها سياسياً وعسكرياً ببريطانيا [٤].

وفي الوقت الذي كان الأمير الأفغاني يقيّم تطور الأمور بين الروس والبريطانيين لإبعاد أفغانستان شبح الحرب والتي من المرجح جداً أن تدور رحاها فوق أراضيه ويدفع ثمنها الشعب الأفغاني، نجد أن (ليتون) يتصرف مع الأمير وكأنه موظف يعمل بإمرته، ويطلب منه تواجد ضباط بريطانيين على الأرض الأفغانية بغية مراقبة تحركات الروس [٥].

---

(١) إحسان حقي، المصدر السابق، ص٢١٦.

(٢) سفير بريطانيا في لشبونه، وصل إلى الهند في نيسان (١٨٧٦–١٨٧٧) م، ليس لديه معلومات وافية عن مهمته الجديدة في الهند، وكأن تصرفه في الشؤون الأفغانية مثيرا للقلق، محمدحسن العيله، المصدر السابق، ص١١٤؛

Stephen tanner , op. cit, p. 203

(٣) المصدر نفسه، ص١١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٥.

(□) **Martin EWans , op. cit, p. 84.**

بين عامي(١٨٧٦–١٨٧٧) أرسلت روسيا بعثة برئاسة الجنرال ستوليتوف (Stoliatov) وكان يحمل مقترحات محدده للأمير شير علي خان تتضمن الدخول في معاهدة دفاعية، ولأجل تحقيق ذلك اقترح عليه أن تكون وحدات روسية متواجدة على الأرض الأفغانية تحت غطاء بناء الطرق ومدِّ خطوط الأتصالات، إلا أن الأمير الأفغاني أدرك العواقب التي يمكن أن تصيبه من جراء قبوله مثل هذه المقترحات.

في الهند، كان ردّ الفعل البريطاني قوياً من قبل (ليتون) الذي عزم على إرسال بعثة إلى كابل لمقابلة الأمير، غير أن الحكومة البريطانية توخت عبر أي رسالة أو مبعوث إلى الأمير الأفغاني أن لا يتضمن إثارة مخاوفه أو تحديه. ففي ٢١ أيلول ١٨٧٨ كان الرائد لويس كفجناري (Louis cavagnari) في طريقه إلى العاصمة كابل، إلا أنه أوقف من قبل القائد المحلي الأفغاني في ممر خيبر وأخبره بالعودة إلى بيشأور وإلا تعرض للقتل [١] مما أثار حكومة الهند ولندن، وكان الشعور السائد عند أفراد الحكومة هو الإحباط لعدم السماح للبعثة البريطانية من الوصول لمقابلة الأمير، وأن هذا العمل قد أساء إلى هيبة وسمعة بريطانيا، فكان القرار الذهاب إلى الحرب. [٢] وفي خطوة باتجاه التهيؤ، فقد طلبت الحكومة البريطانية من (ليتون) أن يطلب إعتذاراً من الأمير لما حصل، وأن يوافق على وجود بعثة عسكرية دائمة في العاصمة كابل [٣]. وأعطى الأمير الأفغاني مهلة ثلاثة أسابيع للرد على الطلبات البريطانية، في الوقت الذي طلب من الوحدات البريطانية والهندية الاستعداد لخوض حرب ثانية.

في تلك الظروف العصيبة، توفي ولي عهد الأمير وأحب أبناءه، فأُعلِنَ الحداد في الإمارة [٤] إلا أن الأمير شير علي خان وفي اللحظات الأخيرة من مساء يوم العشرين من تشرين أول (١٨٧٨) م، أرسل رده الأيجابي على المطالب البريطانية إلا أن الجواب لم

---

(١) Martin Ewans , op. cit, p. 85.
(٢) I bid , p. 85.
(٣) I bid ,p.85.
(٤) Stephen tanner. op. cit, p. 204.

يصل في الوقت المناسب [١]. وكان الموقف الأفغاني في منتصف عام (١٨٧٨) م قلقاً بين دولتين متنافستين يريدان الاستحواذ على مقدرات الشعب الأفغاني، فيما كان الأمير يريد إبعاد وطنه وشعبه من ويلات الحرب والدمار والتخلف الذي وقع فيه شعب مسلم، فكان كل طرف يريد وجود ضباط داخل أفغانستان لمراقبة تحركات الطرف الآخر، وكلاهما يريدان أرض حيويه تسهل لهم مهمة الدفاع والإشراف على الأراضي المجأورة، إلا أن الطلب الروسي وإن كان يخلو من ربط السياسة الخارجية الأفغانية بروسيا إلا أنه بالمحصلة يريد ربطها سياسياً وعسكرياً [٢].

في اليوم الثاني من الإنذار البريطاني أي الحادي والعشرين من شهر تشرين أول تحركت ثلاث الوية مشاه إلى داخل أفغانستان معلنة بدء الحرب البريطانية الأفغانية الثانية، بعد مرور ٣٦ سنة من إنتهاء الحرب الأولى بينهما [٣].

القوة الأفغانية

تمكن الأمير (شير علي خان) من تهيئة قوة من رجال القبائل قوامها خمسون ألف مقاتل بتجهيزات متواضعه، إلا أن إخلاص معظم هؤلاء المقاتلين يعود بالدرجة الأساس إلى قبائلهم.

ذهب الأمير إلى ولاية مزار شريف، وأرسل رسالة إلى القيادة الروسية طالباً منهم المساعدة، فجاءه الرد من الجنرال (كوفمان) بضرورة تسوية الأزمة مع القوات البريطانية، ثم قاده التفكير بالسفر إلى العاصمة الروسية (بطرس بيرج) ليشرح لهم تطور الأوضاع، فرفض الجنرال (كوفمان) وأمر أتباعه بأن لا يعبر الأمير نهر (امودايا)، فعاد إلى إمارة بلخ التي توفي فيها في الحادي والعشرين من شباط (١٨٧٩)[٤].

---

(١) The new Encyclopaedia Britannica , op. cit , p. 176

(٢) Stephen tanner , op. cit , p. 204.

(٣) I bid ,p.204.; يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٣٩.

(٤) Stephen tanner ,op. cit, p.205; the new encyclopaedia op.cit, p.176.
يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٣٩.

القوات البريطانية الهندية يوم ٢١ تشرين أول (١٨٧٨) م

بلغت القوات البريطانية الهندية ما يزيد عن (٣٣.٥٠٠) ثلاثة وثلاثون ألف وخمسمائة بالإضافة إلى خمسة وعشرون مدفع من أنواع مختلفة،[١] ولأجل تقسيم العمل فقد حددت القيادة العسكرية البريطانية ثلاثة محأور يمكن أن تتقدم عليها ثلاثة أرتال وكما يلي:-

- الرتل الأول: (الرتل الشمالي) وضعت بإمرة الجنرال صاموئيل بروانز (samuel Brownes) قوة تقدر بخمسة عشر ألف مقاتل، كان هدفه ممر خيبر –جلال آباد، شرعت القوة من مدينة (بيشأور) التي سبقها قصف مدفعي على التلال الخمسة الموجودة في داخل الممر، مما أجبر الأفغان على الإنسحاب خلال فترة الظلام [٢] وفي الأيام التالية تمكن الأفغان من الحاق بعض الخسائر، إلا أن القوة الغازية تمكنت من احتلال جلال أباد بعد استشهاد أميرها في العشرين من كانون أول [٣].
- الرتل الثاني (الرتل الوسطى) وضعت بإمرة الجنرال (فريدريك روبرتس) (Frederick Roberts) قوة تقدر بـ ستة آلاف وخمسمائة مقاتل، كان هدفه وادي خوارم – مدينة بيوار. استخدم الجنرال مدفعيته لتشتيت القوة الأفغانية في وادي خوارم، وعندما حل الليل، قاد روبرتس البريطاني ثلاثة كتائب مشاة حول جناح القوة الأفغانية، وعند الفجر واصلت القوة التقدم في الوادي مما أدى

---

(١) (٩) كتائب مدفعية، قسمت على أساس (٣) كتيبة مع كل رتل.كما أن كتائب المشاة هي كتيبة (الكركه) من المحاربين القدامى (من النيبال)والكتيبة (٧٢) من (البانيا)، والكتيبة (١٧) والكتيبة (٥) حاملي الغدارات، كتيبة البنغال، والكتيبة العاشرة.

(☐) Stephen tanner ,op.cit, p. 206؛ محمد حسن العليه، المصدر السابق ص١٣٩.

(☐) I bid, p. 207؛ المصدر نفسه، ص١٤١

إلى إنهيار القوة الأفغانية المقدرة بـ خمسة عشر ألف مقاتل، في حين كانت خسائر البريطانيين إحدى وعشرين قتيلاً وخمسة وسبعون جريحاً.[١]

- الرتل الثالث (الرتل الجنوبي) وضعت بإمرة الجنرال (دونالد ستوارت) (Donald stewarts) قوة تقدر بأثنا عشر ألف مقاتل، تحشدت في ولاية (كويتا) هدفها خان كالات ممر (خوجاك) – ولاية قندهار، تمكن أميرها أن يدافع ببسالة حتى أستشهد، مما أجبر البريطانيين إلى تعيين أمير جديد موالي لها، وفي الثامن من كانون الثاني (١٨٧٩)م دخلت القوات مدينة (قندهار) بعد إنسحاب قائدها[٢]..وواصلت تقدمها حتى وصلت إلى ممر (شوتار جاردن) (Shutar garden).[٣]

في العاصمة كابل، بدأ الأمير الذي كان مضطرياً من جراء ما حققته القوات البريطانية والهندية من نصر سريع، فتنازل عن عرش الإمارة لإبنه (يعقوب خان) الذي بادر من جانبه إلى إنهاء الاشتباكات، ولجوء والده إلى إمارة (بلخ) على الحدود الروسية.ثم وفاته في الحادي والعشرين من شباط ١٨٧٩م في ولاية مزار شريف.[٤] تكبدت القوات الغازية أول خسارة كبيرة في السابع من شهر شباط عندما حأولت القوة عبور نهر كابل [٥] فخسرت سبعة وأربعين من مقاتليهم[٦].

(☐) Stephen tanner ,op.cit, p.207 Martine Ewans,op. cit ,p. 87.

(☐) Stephen tanner , op. cit, p. 206.

(☐) Martine Ewans,op. cit ,p. 87, ؛ محمد حسن العيلة، المصدر السابق، ص١٤١

(☐) the new encloypaedia , p. 176.

(☐) Stephen tanner , op. cit, p. 207.

ذكر أن أثنين من البغال انزلقت مع تيار المياه الجارية مما أدى بالبقية إلى أن تنجرف خلفها في ليلة حالكة الظلام.

(☐) Stephen tanner , op. cit,p. 207.

نظمت القوات الأفغانية نفسها على شكل مجموعات لغرض شن حرب عصابات ضد عدو تواجد على أرض أفغانية لم يدرك البريطانيين تفاصيلها جيداً، إلا أن نسبة الخسائر كانت عالية في الجانب الأفغاني بسبب كفاءة عناصر كتيبة الغدارات الخامسة والكتيبة السابعة عشر من المشاة، وذكر أن خسائر الأفغان كانت ستون قتيلاً في حين خسر البريطانيون ثلاثة قتلى وجرح اثنا عشر ومقتل أربعة خيول وجرح أعداد أخرى [١].

دعي (يعقوب خان) من قبل البريطانيين إلى مؤتمر في قرية (جاندماك)، القريبة من معسكرهم وفي ٢٦ مايس (١٨٧٩)م وقع معاهدة (جاند ماك) وبموجبها تكون بريطانيا هي المسؤله عن السياسة الأفغانية والسماح بوجود بعثة بريطانية دائمة في كابل، مقابل ذلك يستلم الأمير مساعدة قدرها ستون ألف جنيه استرليني. [٢]

أصبح البريطانيون المقيمون في المدن الأفغانية (والعاصمة كابل) أصحاب السلطة الادارية والعسكرية، وكان تعاملهم مع السكان المحليين يتسم بالتكبر والزهو والإحتقار مما ولد شعوراً عالياً بالإنتقام منهم.

أندلعت ثورة دينية وسياسية ضد البريطانيين في الثالث من أيلول (١٨٧٩)م، قتل على أثرها المبعوث البريطاني الرائد كفجناري(Cavagnari) وخمسة وسبعون من الحرس الهندي المنتخبين، فتدخل الأمير شخصياً ومعه رجال الدين ولم ينفع ذلك، فبدأت الصفحة الثانية من هذه الحرب [٣].

---

(١) Stephen tanner,op.cit, p. 208.

(٢) I.bid, p.208; The new Encloypaedia, p. 176; محمد حسن العيله، المصدر السابق،ص١٤٣.

(٣) Encyclopaedia Britannica , op. cit, p. 176 يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٣٩؛

على أثر مقتل الرائد (كفجناري)، جرت عمليات أعتقال لجمع من الشباب الأفغان، واعدام بعضهم واحالة قسم منهم إلى محاكم ميدانية. وظهر فيما بعد أن هناك أحد عشر أفغانيا أدعو

الهجوم المقابل لأفغاني

وصلت أخبار المعركة الجديدة إلى أذهان حكومة الهند، فقررت القيادة العسكرية إرسال الجنرال (روبرتس) إلى كابل للأنتقام من الثوار وتدعيم سلطة الأمير الذي حأول هذه المرة التخلص من أي التزام بريطاني خدمة لمصالح بلده، وتم إلقاء القبض عليه هو وثلاثة من كبار مساعديه وإرسلوا إلى الهند كأسرى [١].

في مناطق الحدود كان الجنرال (روبرتس) وجيشه في وادي خوارم الذي يبعد عن العاصمة (كابل) نحو (٨٤)كم، وفي الوقت نفسه كانت قوات الجنرال (برأونز) (وستيورات) هي الأخرى قد جرى سحبهم خارج حدود أفغانستان بوقت مبكر [٢].

قرر (روبرتس) التخلي عن منطقة (بيلي هزار) ومعسكرها لتفادي ما حصل لهم قبل ستة وثلاثين سنة، بل فتش في أماكن آخرى خارج المدينة بمسافة كافية، فوجد في منطقة (شيربور) الواقعة شمال المعسكر البريطاني القديم المكان المناسب لمعسكره، واتخذه في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني ١٨٧٩م [٣].

في ولاية (غزنة) التي أعلنت الجهاد ضد القوات الغازية،كان المقاتلين الأفغان على درجة عالية من المعنويات وعددهم بالآلاف يحملون الطموح في استعادة مجد آبائهم

مسؤوليتهم في عملية القتل من بين سبعة وثمانون تم اعدامهم فعلا ؛ Martin Ewans, Op.cit, p.89.

(□) Stephen tanner , op. cit, p. 208.

وجد الأمير (يعقوب خان) أن سياسة الإحتقار التي مارسها البريطانيون معه ومع شعبه، وكذلك تكبيله بمعاهدة (جاند آماك) هي غير منصفة تماماً، فأراد أن يكون مع ثوار بلده، ولمخادعة الغازي الأجنبي طلب تسهيل مرور القوات البريطانية، وزار المعسكر عند قرية (قوشي) لمعرفة حجم القوات هناك واتخاذ الاحتياطات عند مهاجمته. محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص١٤٥.

(□) Stephen tanner , op. cit,p.211

(□) I bid , p. 211

في النصر الكبير في عام (١٨٤٢)م. أصدر (روبرتس) الأمر لأحد مساعديه بغية إخماد الثورة في غزنة، إلا أن العناد الأفغاني ظهر جلياً لوقف تقدم القوات، مما أضطره إلى طلب تعزيزات على وجه السرعة من قندهار، وحينما وصلت قوات إضافية، عند ذاك تمكن في التاسع عشر من نيسان (١٨٨٠)م من السيطرة على ولاية غزنة ولكن بعد تكبدهم خسائر [١].

حأول (روبرتس) في منصف كانون الأول (١٨٨٠)م السيطرة على الأراضي الحاكمة غرب العاصمة (كابل) بغية إحكام ما يلي؛ أولاً، تأمين عامل الأمن للمدافعين من كتائب المشاة البريطانية الهندية، والثاني، حرمان رجال القبائل الأفغان من التواجد في الأماكن الأخرى المهمة، وعلى هذا الأساس انفتحت الكتيبة الثانية والتسعين والثانية والسبعين في مرتفعات (آسماي) (Asmai) الحاكمة والمناطق المجأورة لها، ومع ذلك فقد تقريت مجموعات أفغانية كبيرة من الكتيبة الثانية والسبعين وشنت غارات عديدة عليها أسفرت عن تراجع كل النقاط الخارجية من الكتيبة إلى داخل المعسكر وبالتالي محاصرته. [٢]

على الأرض أيضاً ظهرت دلائل حشد أفغاني حول معسكر شيربور، وأغلقت الطريق المؤدية إلى العاصمة (كابل) وأنتشر القناصه الأفغان في كثير من مفارق الطرق، عندها قرر (روبرتس) سحب ما تبقى من النقاط الخارجية الأخرى بما فيها نقطة (بيل هزار) والإحتفاظ بكل قوته ضمن حدود المعسكر [٣].

بدأت الأحداث تعيد نفسها إلى ما حدث عام (١٨٤٢)م (أيام الحرب الأولى)، وأدى إلى حشد مزيد من الأفغان وصل إلى أربعين ألف رجل يمسكون كل المداخل البعيدة التي تؤدي إلى المعسكر، إضافة إلى السيطرة الأفغانية على العاصمة (كابل) وظهور

---

(١) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص١٤٦.

(□) **Stephen tanner , op. cit, p. 212.**

(□) **I bid , p. 212.**

مجموعات مسلحة لإعتقال العناصر المتعاونة مع بريطانيا ، يقابلها قيام الخيالة البريطانية بالظهور خلف المعسكر لمراقبة تجمع الثوار الأفغان [١].

وصلت معلومات في غاية السرية إلى الجنرال (روبرتس) في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الأول حملها (جاسوس) وتبين للجنرال أنها خطة متكاملة لمهاجمة كتائب المشاة في منطقة معسكر (شيربور) وأن التنفيذ سيكون في اليوم الثاني، كما عرف أن الهجوم على مرتفعات (اسماي) سيتم عن طريق إشارة يقوم بها (أمام الجامع) للمهاجمين [٢].

ظلت العيون تراقب غرب (شيربور) في فجر اليوم الثالث والعشرين وكان الظلام لا يزال يلف التلال والمعسكر البريطاني، وفجأة ظهرت ومضات ضياء، وبعدها سمع صوت إطلاق المدفعية ونيران البنادق وأصوات آلاف الأفغان يصيحون (الله أكبر)، وكان رد فعل قسم من القوات البريطانية أنها فتحت النار من خارج مدى السلاح دون الإلتزام بالأوامر، أما القسم الآخر، فقد تحمل وانتظر وصول المهاجمين ضمن مدى ثمانين ياردة [٣] وبظهور الشمس كانت هناك أعداد كبيرة من الجثث منتشرة حول أطراف المعسكر، وعند الظهر استأنف الأفغان هجومهم بقوة حتى تمكنت مجموعات منهم من الوصول إلى جدران المعسكر.

---

(١) Stephen tanner, op.cit. p. 212.

(٢) Stephen tanner, op.cit., p.212; Martin Ewans , op. cit p. 92;

كانت الإشارة عبارة عن ضياء متقطع بإتجاه معسكر القوات البريطانية، وبإيعاز من (أمام الجامع) الذي اعتبر هو المرشد للمجاهدين الأفغان.

(٣) I bid ,p 213;

ضمن مدى ثمانين ياردة، مساحة الرمي المتوفرة بين جدران المعسكر الخارجي والمهاجمين ضمن المنطقة الجبلية التي وقعت فيها الاشتباكات.

ونظراً للحراجة الموقف، فقد أراد القائد البريطاني قطع التماس مع الأفغان قبل غروب الشمس، فباشرت المدفعية البريطانية بالرمي حتى حان وقت الظلام [١].

حرك البريطانيون خيولهم في اليوم التالي لمراقبة الوديان المؤدية إلى المعسكر ومعرفة حجم الخسائر التي لحقت بالمهاجمين، فأشار الكاتب إلى وجود ثلاثة عشر قتيل في حين خسر الأفغان عدداً يترأوح ثلاثة آلاف قتيل [٢].

دعى (روبرتس) بعد هذه المعركة مائتين من كبار الوجهاء الأفغان إلى مؤتمر مقرون بوعد شامل دون أية عقوبة لكل واحد يسلم سلاحه إلى القوات البريطانية، إلا أن السؤال الرئيسي بقي للورد (ليتون) و (دزرائيلي) حول ماذا يجب أن يكون العمل القادم؟، وبحكم أن كون الأفغان قبائل تريد أن تخرج الغزاة من ديارهم، فإن الخيارات السياسية ظلت مشوشة لديهم، وقد يكون توجه (روبرتس) للوجهاء الأفغان أن يثبت لهم أنه أنتصر في هذه المعركة ويريد الرحيل عن أرض الأفغان [٣].

تحرك (عبد الرحمن خان) [٤] على رأس قوة تقدر بمائة فارس في بداية شهر شباط (١٨٨٠)م قادماً من طاشقند إلى كابل بغية تأليب الشعب الأفغاني ضد الغزاة، وفي الجانب الآخر وبغية معالجة تتطورات الموقف في أماكن أخرى، فقد شرع الجنرال(ستيورات) على رأس قوة بريطانية من قندهار إلى كابل في شهر نيسان (١٨٨٠)م وفي مسيرته الطويلة أشتبك مع مسلحين أفغان قُدِّرَ عددهم بسبعة آلاف في ولاية غزنة[٥].

---

(١) I bid , p. 212; Martin ewans , op. cit , p. 91.

(٢) Stephen tanner ,op.cit, p. 213

(٣) Stephen tanner, op.cit, p. 213

(٤) حفيد الأمير (دوست محمد) أمضى فترة أثني عشر سنة في ضيافة الروس، اعترف به البريطانيون أميراً على أفغانستان في شهر تموز (١٨٨٠)م، توفي سنة (١٩٠١)م.

(٥) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص١٤٦؛

Stephen tanner ,op. cit,p. 214;
Martin Ewans, op. cit, p. 95

وصلت القوة البريطانية إلى (كابل) في اليوم الثاني من شهر مارس، وفي هذا الشهر سقطت حكومة (دزرائيلي) المحافظة، وحلّ بدلاً عنه (كلادستون) (Gladston) لينهي سياستهم المتهورة التي رسموها بهذه الطريقة [١].

أتصل البريطانيون بالأمير (عبد الرحمن خان) في شهر تموز، وفي اليوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه ساعد البريطانيون الأمير ليكون ملكاً أو أميراً، إلا أن الفاجعة التي حلت بعد مرور خمسة أيام فقط، هي أن الجيش البريطاني قرب (قندهار) انتهى بأكمله على يد الثوار الأفغان [٢].

كان (أيوب خان) هو الأخ الآخر ل(يعقوب خان) حاكم ولاية (هيرات) الذي تواجد منذ بداية الأزمة التي فجرها البريطانيون عام (١٨٧٩) م، كما يمكن القول أن قرب الولاية من دولة فارس قد أسهم في دعمه معنوياً ومادياً [٣]. وبسبب تطور الأوضاع في الولايات الأفغانية الأخرى، فقد تحرك هو الآخر على رأس قوة كبيرة ضد الجنرال(بروز) في (قندهار) ودعا خلال مسيرته رجال القبائل الأفغان للإلتحاق به حتى وصل العدد أكثر من عشرين ألف مقاتل. [٤]

في الجانب الآخر، كان الجنرال(بروز) على رأس قوة قوامها أربعة الآف مقاتل، وخلال حركته التي جرت في الثالث عشر من شهر تموز رفضت أعداد كبيرة من الأفغان مقاتلة ايوب خان [٥]، فما كان من الجنرال (بروز) إلا أن أعاد ترتيب قوته، فوضع كتيبة المشاة السادسة والستون عن الجناح الأيمن والمدفعية في الوسط

---

(١) محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص١٤٧؛ Martin Ewans, op. cit, p. 96,

(٢) The new Encyclopedia , op.cit, p. 176; Stephen tanner , op. cit, p. 215.

(٣) The New Encyclopaediaop.cit.,p. 176; Stephen Tanner, op.cit, p.215.

(٤) I bid , p. 215.

(٥) Stephen tanner , op. cit, p. 215.

يقي لدى الجنرال (روز) قوة لا تتجاوز الألفين والخمسمائة مقاتل.

والمتطوعين الهنود على الجناح الأيسر، أما الخيالة فقد أبقى واجبها في الخلف لحماية معدات وتجهيزات القوة وأي جناح يتعرض للتهديد. [١]

في مكان قريب من قرية (ميأوند) (Malwand) التقت القوات وكانت البداية للمدفعية البريطانية التي حأولت بثقل قنابلها إحداث أكبر ما يمكن من الخسائر وبعثرة حشد الأفغان، إلا أن المفاجأة للبريطانيين، كانت بظهور ثلاثين مدفعاً مع القوات الأفغانية مقابل اثني عشر مدفع في الجانب الآخر، فأمرَّ الجنرال (بروز) رجاله بالإختفاء خلف الطيات الأرضية لتجنب الخسائر، وظهرت الخيالة البريطانية في أضعف حالاتها المعنوية بعد أن تكبدت خسائر في رجالها بالإضافة إلى موت أكثر من خمسين حصان.[٢] فاندفع المشاة الأفغان من أحد الوديان القريبة، إلا أن نيران الأسلحة البريطانية المصوبة على الوديان كان لها تأثير على المهاجرين مما أوقعت بهم خسائر[٣].

في هذه المرحلة من القتال أمر الأمير (أيوب خان) خيالته مهاجمة الجناح الأيمن ومؤخرة القوة البريطانية وتمكنت من أسر القوة بأكملها [٤].

في الساعة الثانية بعد الظهر، أظهر الأفغان قوتهم وصبرهم والسرعة في مهاجمة الجناح الأيسر مما خلف حالة من الذعر بين الجنود الهنود الذين تركوا أسلحتهم وهربوا لاجئين إلى الكتيبة المجأورة، التي تعرضت هي الأخرى إلى الإنهيار الكامل. أما رجال المدفعية فقد خسروا عدد من المدافع نتيجة غارات المشاة الأفغان، حتى لم يبقى في الميدان إلا عدد محدود من رجال كتيبة المشاة السادسة والستون لحماية مؤخرة الرتل البريطاني [٥].

وطوال اليوم الثاني تحملت القوة البريطانية الباقية العبئ الكبير في حركتها وهي تتعرض لهجمات متكررة من قوات الأمير أيوب المتفوقة معنوياً، حتى ظهرت

---

(١) The new Encyclopaedia , op. cit, p. 176

(٢) Stephen tanner op. cit, p. 216.

(٣) Stephen tanner, op.cit, p. 216.

(٤) I bid p. 216.

(٥) I bid p.216

الحصيلة الدامية في الميدان بما يلي: (٩٧١) قتيل و (١٦٨) جريح من القوات البريطانية والهندية، أما رجال المخيمات، فكانت خسائرهم (٣٣١) قتيل و(٧) جرحى، وكان الجرحى القادرين على المسير هم فقط من تمكنوا من النجاة. وصلت أخبار المعركة والانتكاسة الكبيرة التي حلت بالقوات البريطانية إلى أذهان الجنرال (روبرتس) الذي لا زال في مناقشة حادة مع الجنرال (ستيورات) حول التدابير في العاصمة كابل، فقرر في الحادي عشر من آب إرسال عشرة آلاف متطوع إلى الجنوب[١] على أن تكون وحدات حامية قندهار تحت قيادته [٢]، وبمجهود كبير وصلت هذه القوات في الأول من شهر أيلول لمواجهة الجيش الأفغاني تحت قيادة الأمير أيوب خان. إلا أن خبرة الجنرال (روبرتس) في الميدان، جعلته يختار الهضاب الحاكمة التي سيطرت عليها وحدة (الكَركَه)، وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تمكنت القوات البريطانية بإسناد مدفعي من الأستيلاء على المعسكر الأفغاني، تاركين خلفهم أكثر من ألف قتيل، في حين خسر البريطانيون ستة وثلاثين قتيل ومائتين وثمانية عشر جريح [٣].

بعد هدوء الموقف وما أصاب الطرفين من خسائر قرر (روبرتس) في صيف عام (١٨٨١)م سحب حامية قندهار إلى الهند، وبوقت مبكر قرر أيضاً إعادة القوة الموجودة في العاصمة (كابل) إلى الهند.. وهكذا أنتهت الحرب البريطانية الأفغانية الثانية بخسائر بشرية ومادية دون سبب معقول لاندلاعها، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار اللعبة الروسية في توريط بريطانيا والأنتقام منها [٤].

---

(١) كانت المسافة التي يجب على القوة أن تقطعها من كابل إلى قندهار (٥٣٤) كم ويتطلب قطعها في عشرين يوما. **Stephen tanner op. cit, p. 216** .

(٢) كانت القوة هناك تتجاوز أثنا عشر ألف من القوات البريطانية، أو أكثر إضافة إلى أن مجموع القوة أصبح أكثر من جيش (أيوب خان) الذي عانى من نسبة خسائر. **Stephen tanner , op. cit , p. 217.**

(□) **I bid , p. 217.**

(□) **The new encyclopaedia , op. cit,p. 176;** محمد حسن العيله، المصدر السابق، ص١٤٧